رسالة تدبير المنزل لارسطو الفيلسوف

هي مقالة نادرة الوجود توفقت الى العثور عليها في مجموعة من مخطوطاتي فاحببت الآن نشرها بعد تقديم كلام عليها تعريفاً للمجموعة ولفن تدبير المنزل :

(١) وصف المجموعة

هي بطول ٢٣ سنتيمتراً وعرض ١٦ س ومعدل ما في كل صفحة منها ١٦ سطراً بخطوط مختلفة قديمة عليها مسحة من الطلاوة خشنة الورق خشبية الدفتين مغشاة بالجلد الاسود القديم شرقية التجليد جمعت مباحث مفيدة في علوم الطب والطبيعيات والفنون والعمران ومزية اهم مقالاتها الابتداء بكلمة (العلة في كذا) . وعناوينها بكلمة (الثمرة) . في اولها خرم نحو كراسين وقبل آخرها خرم بضع صفحات وفي آخرها صفحة واحدة والباقي منها ٣٥٨ صفحة تؤلف هذه المجموعة المهملة الخط المحدثة التنقيط والتبويب على هوامش النسخة ولا سيما في اوائلها . وعلى داخل الدفة الاولى ابيات شعرية طبية مشوشة توفقت الى قراءتها وفي آخرها هـذه العبارة (وكتبه ابو السرور ابن الحكيم وهبـه صاحب الكتاب) . وعلى هامش احدى الصفحات هذه العبارة (ملكه من فضل ربه الحبيب نقولا عبد يوسف الطبيب ابن المروق الرجل النصراني الملكي المذهب ارثاً عن اجداده وذلك في سنة سبعين والف لابونا آدم[1] « كذا » عليه السلام) ومن قدم النسخة وشؤون اخرى استدللت ان هذا التاريخ اقدم وخط الحاشية احدث من خط الكتاب وكذلك ما على دفته . وقد احدث اعجامه تشويشاً في بعض الالفاظ اتصل (برسالة ارسطو هذه) فاصلحته . واليك وصف مباحث هذه المجموعة :

(١) رسالة في تعليلات الاسكندر الافروديسي *A. Aphrodissi* من اهل القرن الثالث للميلاد ومن معاصري جالينوس الاتي ذكره وممن اشتغل بكتب ارسطوطاليس وشرحها ورسالته ١٧١ مقالة صغيرة سقط بعضها بخرم الكتاب وكل منها يبتدئ بكلمة (العلة) ومنها اسمها

(١) ولعله يريد للهجرة كما كان شائعاً وهذه السنة الهجرية تقابلها سنة ١٦٥٩ م . او انها تحريف لسني آدم .

(٢) ثمار المسائل الطبية على وجه آخر لثيوفرسطوس *Theophrastus* ابن اخ ارسطوطاليس وتلميذه وهذه الكلمة التي اشتهر بها هي لقبه لفصاحته اما اسمه الاصلي فهو تيرتاموس *Tirtamus* وقد توفي سنة ٢٧٨ ق م ورسالته في ١١٨ مسألة وله مؤلفات مشهورة و بعضها مفقود منها (تدبير المنزل) ذكره ابن القفطي ونجهل امره .

(٣) ثمار مسائل ارسطوطاليس *Aristotle* الفيلسوف الشهير المتوفى سنة ٣٢٢ ق م وهي في نسختي باسم (مابال) . وقال ابن ابي اصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨ هـ (١٢٦٩م) في كتابه (عيون الانباء) ان اسمها ايضاً (المسائل الطبيعية) وان عددها سبع عشرة مقالة واما في نسختي فهي خمس عشرة مقالة في الازمان والاهوية والامراض المتولدة بحسبها والعلاجات والعرق والخمر والمسكر والتعب والاعياء والجلوس وشكله والمشاركة في الالم اي العدوى والنافض والبرد والقشعريرة والآثار الكائنة في الوجه وجميع البدن وخواص الحيوانات والصوت والطيب والروائح المتغيرة والامزجة والعلة وكلها جديرة بالنشر ولا سيما مقالة (العدوى) وله مؤلفات كثيرة اعتنى العلماء بشرحها ونشرها

(٤) ثمرة من كلام جالينوس و يحيى في الترياق تبتدئ بكلمة (العلة) ايضاً . والاول هو كلوديوس جالينوس *Galenus. C* الطبيب المشهور المتوفى سنة ٢٠١ م وله مؤلفات مطبوعة ومفقودة و بعضها انتحله . والثاني هو يحيى النحوي *Gramaticus* اليوناني الملقب فيلونيوس *Philonius* اي المجتهد وهذا فسر مقالات (مابال) المذكورة وعرّب كتب جالينوس ومنها (جوامع كتاب الترياق) ولعله هذه الرسالة وكان معاصراً للفتح العربي في القرن السابع للميلاد .

(٥) كلام طبي لعيسى بن ماسويه وهو من علماء صدر الدولة العباسية الاولى ومترجميه (٦) ثمار مسائل طبية على وجه آخر (٧) شروط القاء الادوية البسيطة في المركبة (٨) اليرقان وتعليلات مفيدة في مسائل طبية (٩) تعاليق الاغذية وتقسيم الادوية (١٠) ثمار المسائل الطبية (١١) الشعر (١٢) الروح والنفس (١٣) العطش (١٤) الحقن لجالينوس (١٥) الروائح (١٦) قوانين حسنة في الادوية والاغذية (١٧) ثمار مقالة ارسطوطاليس في تدبير المنزل التي ننشرها وهي في ست صفحات ونصف (١٨) مسائل في الحيوان فيها خرم قليل (١٩) تعليق املاء الشيخ

الفاضل ابي الفرج عبد الله بن الطيب المتوفى سنة ١٠٤٣ م (٤٣٥ هـ) في موضوع الصناعة الموسيقارية سقطت الورقة الاخيرة منها. هذه مواضيع الكتاب كلها سردتها هنا خشية ان تعبث يد الضياع بهذه النفائس .

(٣) علم تدبير المنزل

لقد عرف العرب الحكمة العملية واقسامها وذكروها في مؤلفاتهم ومما وقفت عليه من ذلك قول الامام عصام الدين احمد بن مصطفى بن خليل المعروف (بطاش كبري زاده) اي ابن الحجر الكبير المتوفى سنة ٩٦٨ هـ (١٥٦٠ م) في موسوعته (مفتاح السعادة ومصباح السيادة[1]) ما محصله :

ان للحكمة العملية اربع شعب : (الاولى) ان تتعلق بالشخص وحده وهي علم الاخلاق . و (الثانية) ان تتعلق باهل المنزل لدوام الانس والائتلاف وهي علم تدبير المنزل . و (الثالثة) ان تتعلق باحوال اهل البلد لنظام احوال الملك والسلطنة وهي علم السياسة . و (الرابعة) ان تتعلق بآداب الملوك ووظائف السلطان وآداب الوزارة والاحتساب وقود العساكر والجيوش وهي من فروع علم الحكمة .

واسترسل صاحب المفتاح هذا في وصف الشعب اصولها وفروعها مما لا محل لنقله الآن على ان موضوعي الآن هو في فرعين متداخلين (احدهما) علم تدبير المنزل او الاقتصاد المنزلي الذي يسميه الافرنج *Economic domestique* . و(الثاني) علم تدبير المدينة او الاقتصاد السياسي ويسمونه *Economic politique* . ولقد عرّف الاول : انه علم بمصالح جماعة متشاركة في المنزل كالوالدين والولد والمالك والمملوك . واشتهر اليونانيون في هذا الفن وعرفوا اصوله وفروعه والفوا فيه كتباً اشهرها عندهم كتاب زينوفون *xenophon* الفيلسوف المتوفى سنة ٣٥٥ ق م والملقب بالنحلة لفصاحته . وكتاب ارسطوطاليس الفيلسوف وكتاب ابن اخيه تيوفرسطوس وقد مر ذكرهما .

---

(١) لهذه الموسوعة نسخ مخطوطة افضلها نسخة العلامة احمد باشا تيمور وقد طبع في الهند — سنة ١٣٢٩ هـ ١٩١١ م جزآن منها في نجوالف صفحة بقطع ربع كبير والجزء الثالث في النسخة التيمورية جدير بالطبع وهو من الدوحة السابعة الى آخر الكتاب وكله في آداب العرب وعاداتهم وربما عدت الى التبسط في هذا الموضوع .

وكتاب روفس الفيلسوف الافسسي الذي كان قبل جالينوس المشار اليه فيما مر . وعرّب العرب هذه الكتب مثل غيرها في صدر الدولة العباسية فكتابا زينوفون وتيوفرسطوس مفقودان في ما نعلم او نادران وكتاب ارسطو ننشره الآن وهو نادر . وكتاب بروفس نشرته مجلتا الضياء والمشرق[1] . وقد ألف العرب فيه كتباً ورسائل .

وعرّف الثاني : انه علم بمصالح جماعة متشاركة في المدينة وهذا كان عند اليونان عاماً ولهم فيه مؤلفات منها (تدبير المدن) لارسطوطاليس والف فيه العرب كتباً منها (السياسة المدنية) للفارابي الفيلسوف وغيره . وفي القرن السادس عشر للميلاد جمع أصول هذا العلم وخصصه شلي فعدّ فناً حديثاً وفيه مؤلفات كثيرة مثل قسيمه عند الافرنج اليوم .

اما الرسالة التي اخترنها اليوم لارسطو من هذا العلم فهذه هي بالحرف الواحد كما في المجموعة الموما اليها وقد وضعت ما اصلحته منها بين هلالين لتمييزه والله الهادي الى الصواب .

ثمار مقالة ارسطوطاليس

في تدبير المنزل

الفرق بين السياسة المنزلية والسياسة المدنية مماثل للفرق بين المنزل والمدنية فالمنزل (ذو رئاسة) واحدة والمدينة ذات رئاسات كثيرة . فتدبير

---

(١) نشرت مجلة الضياء اليازجية فصل المال والخدم من هذه الرسالة (٢ : ١٩٩ و ٢٤٣) . ثم نشرت مجلة المشرق اليسوعية الرسالة برمتها في المجلد السادس عشر منها وطلبت معارضتها بنسخة رسالة ارسطو في مدريد فكتبت مقالة ومعارضة لها في المجلد السادس عشر صفحة ٢٥٧ وفيه ارتأيت على قصر الباع ان مؤلفها هو (روفس) الذي ورد اسمه محرفاً ومصحفاً حتى تشوش أمره في كثير من الكتب القديمة والحديثة مثل (بروش) و (برسس) و (بروليس) اذ لم نجد احد هذه الاسماء في كتب التراجم او التاريخ اما روفس فترجم كما مرت الاشارة اليه الآن وكفى بهذا شاهداً لترجيح هذا الرأي .

المنزل انما يتم بالسياسة المنزلية حسب [1] . والمدينة تتم بالشريعة والسياسة . والسياسة تختلف بكثرة الصناعات والنظامات . من الصناعات ما يستعمل موضوعها ولا يعمل كصناعة الزمر وآلات الغناء . ومنها ماتعمل وتستعمل . من جملة هذه الرئاسة المدنية فانها تحدث النظام وترجع فتعمله للانتفاع به . والرئاسة المنزلية تعمل بسياسة المنزل وتنتفع به . والرئاسة المدنية تكون على مدينة تضمها المنازل وكورها وضياعها . وثبات النظام في جميع ذلك على نسبة . لتحسن الحياة وتطيب فان لم (تقو) على ذلك بسبب ما كانت تجمعه وتعجل فساده . ولان الجزء يتقدم الكل فالكل مركب من (اجزاء كثيرة .) ما يتقدم النظر في السياسة المنزلية على السياسة المدنية والمنزل يتم (بسكانه) وفيه . واول حاجاته (المرأة) والثور الحارث . فالثور الحارث مبدأ علة الغذاء . وبالمرأة تحفظ الحرية لان بها تتم الصيانة وحسن المعاونة . واول العناية ينبغي ان ينتفع بالفلاحة ثم بالمعادن الارضية . والفلاحة أس الغذاء . وثمار الفلاحة لا تخرج طوعاً من نفسها من دون عناية منا ولا بالاكراه لها . وغذاء الكل اصله الارض وتسمى ام الكل بالطبع . والفلاحة تقع فيها ايضاً القوة لانها لا تعاني كما يعاني باقي الصناعات بالايدي حسب . لكن باجهاد جميع الجسم بقوى ناهضة فيه لان ثمار الفلاحة كثيرة ما اذا (اجبرت) تهلك . فلهذا يجب ان تقع العناية بالفلاحة لكيما يستمد منها عوض الهالك . فالعناية بالمرأة لان الذكر والانثى (مشتركان) بالطبع في المعاونة والايلاد . وكل منهما

---

(١) يستعمل (حسب) في هذا الكتاب بمعنى فقط

يشتاق صاحبه طبعاً ومثل ذلك يوجد في سائر الحيوانات ولا يوجد احدهما (من) دون الآخر . فلمحبة الوجود يطلب كل منهما الآخر طبعاً ولهذا يشتركان ه (١)

والحيوانات تطلب طبع التأكيد بالاشتراك الذي من الذكر والانثى . فاما الانسان (٢) بالعقل والفكر يضيف الى اشتياق طبع التأكيد حسن المعاونة ولا (يبغي) الاولاد لاتباع الطبيعة حسب . بل (يبتغيهم) للانتفاع بهم عند ضعف قوته وضعف حاله . ولهذا مما (يحن) عليهم عند التربية وبعد التربية (يخلف) الشخص من الشخص ليدوم بقاء النوع . ومع اشتراك الذكر والانثى جعل الخالق تعالى حالها (متضادة) حتى يتوافقا في الافعال بان ينطاع الاضعف للاقوى . فالذكر (ذو نجدة) والانثى ذات (جبن) . وذاك يجمع ما هو خارج المنزل . وهذه تحفظ ما في المنزل . وذاك يقوى على السعي خارجاً . وهذه تقوى على سعي الخدمة داخلاً . وذاك تصححه الحركة وتسقمه الدعة . وهذه بالضد . والانثى مخصوصة بالاولاد والتربية . والذكر مخصوص (بالتأديب) والتقويم . ومنفعة احدهما بالآخر مشتركة . والشروط للمرأة على الرجل (اولاً) تجنب ظلمها لكيما تجنب ظلمه لتكون السنة بينهما عامة مشتركة وظلمها ايثار غيرها عليها . و (ثانياً) (احسان) عشرتها في الحضور (والغيبة) . فبهذا يتم (اتجاب) بينهما .

واما بزينتهما فقبيح ان تكون مفرطة لان نسبة الزينة في الاجسام نسبة

(١) علامة انتهاء الكلام مختصر (انتهى) (٢) سقطت الفاء

المداجاة في الاخلاق . كما ان هذه قبيحة فتلك ايضاً . ومراعاة الزينة ما في مودات النفس . والواجب اطراحها الى طلب ما تشارك فيه النفوس في المودة . ثم قنية العبيد للاستخدام في الامور الداخلة والخارجة . ومن العبيد من يوكل وهذا يأمر . ومنهم من يستخدم وهذا يؤمر . ومن المستخدمين من (يكون) عمله (صعبا) ولهذا يجب ان يوفر عليه الغذاء . ولا يجب ان يعاشر الخدم (بالفظاظة) والافتراء ولا (بالاهمال) . ولا يعودون الدعة المفرطة . والرؤساء منهم من يوفر عليهم الاكرام ويوفر على المستعملين الطعام . ولا يسقوا النبيذ الا قليلا لانه يغير الاخلاق المحمودة ويجعلها مذمومة . فكان بعض الملوك يمنع شربه في العساكر . ويتعلق بالعبيد استخدام وتأديب واشباع . فالاشباع مع ترك الاستخدام (والتأديب) بنظرة . والاستقصاء في الاستخدام والتأديب ومع الغذاء صعب فيجب ان يوحدوا بالاستخدام او يوسع لهم الغذاء . فالمستعمل بغير اجرة كافية غير (منصف) واجرة العبد (الغذاء) وكما ان (بمجازاة) الاجر على الافعال المحمودة يصلح . كذلك بمجازاة العبيد على الاستخدام وتفقدهم بالكسوة والغذاء والراحة والمراعاة بالادب . ويستعمل ذلك معهم بقدر استحقاقهم قولاً وفعلاً مع فكر وتمييز كما يفعل الطبيب في اعطائه الدواء بقدر العلة .

ولا ينبغي ان يكون العبد المستخدم لاجباناً[1] ولا شجاعاً بل متواسطاً (كذا) لان الجبان لا صبر له والشجعان لا خضوع لهم . (وليشوقوا) بالعتق (ليحرضهم)

(١) الاولى حذف حرف النفي (لا) من قبل كلمة (جباناً)

عَلَى العمل (وليصبروا) فيه لنوائب الدهر . وليوعدوا بالتزويج (وتلوح) لهم الاسباب التي يتلذذون بها . واكثر الادخارات هي لمصلحة الخدم لان حاجة المستخدم اقل من حاجتهم .

ومدبر المنزل يحتاج في المال الى اربعة اشياء . ان يكون له قدرة عَلَى اقتنائه ثم حفظه بلا منفعة في جمع ما لا يحفظ . ويكون مثل من يفعل هذا مثل من يطرح الماء في بُجرة مثقوبة الاسفل . ويقتني من المال المثمر اكثر من غير المثمر حتى لا يؤثر فيه الانفاق ولا يستأصل بالخرج ويستودع ويخزن لمن له قوة على اثماره حتى ان ضاع منه شيء وقع الاخلاف له . وخزائن المال ينبغي (ان تكون صغاراً) ليتمكن صاحبه من مراعاتها في كل وقت والمراعاة نافعة في الحفظ . وعَلَى الرجل ان يراعي بعض الاشياء وعَلَى الامرأة بعضها . كما ان بعض آلة المنزل للامرأة وبعضها للرجل . (وتفقد مايفقد) في المنازل الصغار بخلاف ما يفقد في المنازل الكبار كما في المنازل الكبار (تعجز) قدرة اهلها عن حفظها فيفوضون ذلك الى قوّام عليها يجرون مجرى ارباب المنازل في الحفظ . ويجب لارباب المنازل ان (يجدوا) لهم في ذلك حداً (يستمتعون) بهم فيه

من المنافع في تدبير المنزل ان يكون ارباب المنزل (ينتبهون) من النوم قبل العبيد وينامون بعدهم حتى لا يخلو العبيد بالمنزل ولا يترك المنزل ايضاً عند النوم بغير حارس كما يفعل في حراسة المدينة ليلاً ونهاراً ويكون حفظ المنزل ليلاً اكثر فان ذلك اولى بالحكمة في تدبير المنزل (واجود) في بقائه عَلَى السلامة . والمنازل الصغار يعد لها بمقدار حاجتها . والمنازل الكبار يعد

لها ذلك . ويوزع على اهلها توزيعاً سنوياً وشهورياً . ولا ينبغي ان يدفع الاواني (التي) يحتاج الى استعمالها الى القوّام في كل يوم دفعة واحدة بل شيئاً بعد شيءٍ ويراعي ذلك ليعلم السالم من الهالك ويراعي العبيد بما (يؤدي) صحتهم كالحجامة وغيرها . ويراعي امر الخدم باسرهم الاحرار منهم والعبيد . والنساء والرجال . والغيّب والحضّر . والدواب (وتكون) الكسى (كثيفة) في الشتاء رقيقة في الصيف ويراعي أمر إدامهم ليكون الغذاء قوياً (ويختار) للمنزل بواباً من افضل الخدم واشدهم تيقظاً فهو الحافظ للدار باسرها . ويختار اصلح الاواني وابقاها عَلَى الاستعمال . ويكون كل صنف منها معلوم الموضع حتى لا (يتطلب) عند الحاجة بل يكون عتيداً .

تمت مقالة ارسطوطاليس في تدبير المنزل — يا رب ارحم عبداً كتبه آمين

المجمع العلمي عيسى اسكندر المعلوف